الضحك في الإسلام

تأليف

إسماعيل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ وخاتم النبيين؛ وسيد صنف البشريين؛ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد..

الإنسان حيوان يضحك؛ هكذا قال الفلاسفة الأولىن؛ ميزوا الإنسان عن باقي الحيوان بأنه حيوان ضاحك قالوا: لم نرى من قبل كلب أو قط أو أي حيوان آخر يضحك!

والسؤال: هل الضحك إذا صفة إنسانية محضة؟ الإجابة: نعم؛ وهذا بالنسبة إلى الجانب المنظور من الموجودات؛ والإجابة: لا؛ فهناك كائنات أخرى تضحك ولكننا لا نراها في أغلب الأحيان ولا ندرك وجودها بحواسنا الخمسة التي نتشارك فيها مع بقية حيوان الأرض؛ كالنظر والسمع واللمس والشم والتذوق.

بل هناك من هو أعظم من كل هذا يضحك؛ رب الكائنات سبحانه وتعالى يضحك.. ولكن من قبل لابد وأن نقرر حقيقة هامة هي أن للضحك دورا كبيرا في حياة الإنسان الإجتماعية والفكرية والفنية والروحية؛ الضحك ذلك الصوت المميز والحركة المميزة المعروفة بين الناس بالضحك؛ ذلك الهدير الصاخب الذي يبدأ من ضعف إلى قوة إلى ضعف؛ أو يكون مجرد ابتسامة تضيء لها صفحة الوجه..

كثير من الفلاسفة القدماء منهم والمحدثين اهتموا بفلسفة الضحك ولكن قليلهم هو من خص فلسفة الضحك بالكتابة وأخرج في الكلام عنها المصنفات والكتب؛ ونحن في كتابنا هذا قارئي الكريم نتكلم عن فلسفة الضحك ولكن في الفكر المسلم دون غيره من الأفكار والإتجاهات..

وفي البداية لابد أن نذكر أن أي فلسفة تتناول الضحك كموضوع فإنها ولابد أن تتطرق إلى جانبي الضحك ألا وهما الضاحك والمضحك؛ أما فلسفة المضحك فهناك الكثير من الكتب التي تحدثت عنه؛ فتبين ما هو المضحك؛ وما هو كيفيته ودوافعه وسببه وإلىته؛ فالبعض يعتبره جزء من الفن؛ وخصوصا فن الكوميديا والملاهي.

أما كتابنا هذا فسوف يتناول فلسفة الضحك من جهة الضاحك؛ فنعلم من الذي يضحك ولما يضحك وهي مسألة قل من اهتم بها من الكتاب المسلمين وندر وجودها على أرفف المكتبة العربية والإسلامية ولا نعلم السبب أهو قيمة الضحك؟! مع أن الكثير يرى أن للضحك قيمة كبيرة في الحياة الإنسانية حتى إن البعض عرف الإنسان وميزه عن بقية الحيوان كما قلنا بأنه حيوان يضحك.. أعتقد أن هذه مسألة تحتاج إلى بحث وتحقيق منفرد!!

على أية حال لما نظرنا في الفكر الإسلامي وجدنا أن الضحك هو صفة الأحياء دون بقية مخلوقات الله تعالى التي لا تتصف بهذه الصفة -صفة الحياة- فوجدنا الإنسان يضحك؛ الأغبياء منهم يضحكون والأنبياء كذلك يفعلون؛ عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا؛ فأرسلني يوما لحاجة؛ فقلت: والله لا أذهب -وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله- قال: فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق. فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك؛ فقال: يا أنيس؛ إذهب حيث أمرتك! قلت: نعم؛ أنا أذهب يا رسول الله..

والكافرون في الدنيا يضحكون من المؤمنين: **قال تعالى:** إن الذين كفروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون.**المطففين29.** وهذا ضحك استهزاء وانتقاص؛ كذلك يضحكون فرحة وسرور لما أعطاهم الله تعالى في الدنيا من نعم كثيرة وخير؛ ظن الكافر أنه أهل له؛ كصاحب الجنتين أو الحديقتين الذي قال: وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا.**الكهف36.** فذم الله تعالى فرحتهم هذه وسرورهم بمتاع الدنيا الزائلة وترك الحياة الآخرة الباقية فقال تعالى في صفة الكفار من أهل النار: إنه كان في أهله مسرورا.**الإنشقاق13**.

وقال تعالى أيضا في ضحك الكافرين: فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون.**المطففين110.** فكان الكافرين في الدنيا منشغلين بالسخرية والاستهزاء بالمؤمنين حتى نسوا ذكر الله فبقوا على تكذيبهم وقد كانوا يضحكون منهم سخرية واستهزاء..

ولكن في النار ينقلب سرور الكفار غم؛ ومع الغم لا يمكن لأحد أن يضحك أبدا: **قال تعالى:** كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق.**الذاريات22.**

والمؤمنون في الآخرة يضحكون من الكافرين: **قال تعالى:** فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون.**المطففين34.** وهذا ضحك سخرية كما سخر منهم الكفار في الدنيا وهذا ضحك سخرية كما سخر منهم الكفار في الدنيا؛ كذلك هو ضحك فرحة وسرور لما لقوا عند ربهم من وافر النعيم وجزيل العطاء؛ فقال تعالى فيهم: فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم وأعطاهم حسنا ونورا في وجوههم وبهجة وفرحا في قلوبهم؛ ويرجع الواحد منهم إلى أهله في الجنة مسرورا فرحا : وينقلب إلى أهله مسرورا.**الإنشقاق9.**

وكل إنسان يضحك؛ حتى الطفل الرضيع تجد الأركان تردد أصوات ضحكاته في كل إتجاه؛ وقد يضحك فلا أعلم لماذا يضحك ومما يضحك؟ ولا أحد يعلم على ما أعتقد السر وراء هذا الضحك

إلا أمي السيدة البسيطة التي كانت تقول عندما يضحك طفلا رضيع: إن الملائكة تداعبه وهو نائم..

الجان كذلك يضحكون؛ فقد قال رسل الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان -وهو الخبيث من الجن- يضحك عندما يتثاءب أحدنا؛ وأمرنا أن نرد ذلك التثاؤب ما استطعنا أو كما قال عليه السلام: إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ولا يقولن هاه هاه فإنما ذلك من الشيطان يضحك منه.

والملائكة تضحك؛ فعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل: ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط؟! قال: ما ضحك جبريل قط منذ خلقت النار.

والله سبحانه وتعالى يضحك؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتجلى لنا ربنا ضاحكا يوم القيامة. **وقال عليه السلام:** ضحك الله من رجلين؛ قتل أحدهما صاحبه وكلاهما في الجنة.

مع تأكيدنا أن ضحكه سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ولا نعلم فيه كيفية ولا مثيل؛ ولولا أنه بلغنا وصح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تعالى يضحك ما قلنا به ولا تجرأنا عليه.

إذا الله يضحك؛ والإنس والجن والملائكة يضحكون؛ فهذا الخالق يضحك وهؤلاء ثلاثة مخلوقات قد انحصر الضحك بينهم فلا ضاحك غيرهم وإن كان لكل منهم ضحك خاص من حيث الضحك ذاته وسببه وكيفيته وإلته؛ سنوضحه بإذن الله تعالى في ثلاث فصول:

الأول: الإنسان وضحكه.

الثاني: الجان والملائكة وضحكهم.

الثالث: الله تعالى وضحكه.

سائلين الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه خير دنيانا وآخرتنا؛ فهو نعم المولى ونعم النصير..

الفصل الأول

الإنسان وضحكه

قال الفيلسوف هنري برجسون في كتابه الضحك: المضحك هو شيئا حيا قبل كل شيء فلا مضحك إلا فيما هو إنساني؛ وإذا ضحكنا من حيوان فلأننا لقينا عنده وضع إنسانيا، وقديما انتبه الفلاسفة القدماء إلى هذه الحقيقة البسيطة فعرف كثير منهم الإنسان بأنه حيوان يضحك -بفتح الياء- وكان في وسعهم أن يعرفوه أن حيوان يضحك -بضم الياء-. **وقال:** لا يمكن للمضحك أن يحدث هزته إلا إذا سقط على صفحة نفس هادئة تمام الهدوء منبسطة كل الانبساط؛ فاللامبالاة هي وسط المضحك الطبيعي وألد أعدائه الإنفعال. **وقال:** نحن لا نتذوق الضحك في حالة شعورنا بالعزلة؛ فضحكنا هو أبدا ضحك جماعة.

فإذا ما عرفنا هذا قلنا وبالله التوفيق: أن الضحك صفة أو عرض محمول في النفس؛ فالضحك مخلوق محدث أمره كأمر سائر أمر أفعال العباد مخلوقة قد خلقها الله تعالى خالق كل الأشياء.

والضحك والمضحك والضاحك خلق من خلق الله تعالى قد أكد الله تعالى على هذا في كتابه الكريم عندما قال: وأنه هو أضحك وأبكى.**النجم43.** فالموقف المضحك ذاته قد يحدث أو يمر أمام اثنين من الناس؛ فيفرح أحدهم ويضحك؛ ولا يتأثر له الآخر أي تأثر؛ فالأول قد شاء الله أن يضحكه فأضحكه؛ والآخر لم يشأ الله تعالى أن يضحكه فلم يضحك؛ ذلك أن الضحك والبكاء عند الإنسان مرتبط بالفرح والغم؛ فالفرح علامته الضحك والغم علامته البكاء؛ لا يمكن لإنسان أن يضحك إذا كان مهموما مغموما لذا من شاء الله تعالى أن يضحكه أفرحه؛ ومن شاء أن يبكيه أحزنه وأغمه.. وكما قلنا كل إنسان يضحك حتى الطفل الرضيع يفعل حتى الروح تضحك نعم إن الروح وهي خارج الجسد تضحك..

الروح تضحك

ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: فرج سقف بيتي وأنا بمكة؛ فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا؛ فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح.

قال: من هذا؟

قال: هذا جبريل..

قال: هل معك أحد؟

قال: نعم معي محمد.

قال: فأرسل إليه. قال: نعم. ففتح فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة -جمع غفير- وعن يساره أسودة؛ فإذا نظر قبل يمينه ضحك؛ وإذا نظر قبل شماله بكى. فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح.

قلت: يا جبريل من هذا؟!

قال: هذا آدم؛ وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه؛ فأهل اليمين أهل الجنة؛ والأسودة التي عن شماله أهل النار؛ فإذا نظر قبل يمينه ضحك؛ وإذا نظر قبل شماله بكى. والذي رآه الرسول في السماء الأولى كان روح آدم عليهما الصلاة والسلام؛ فجسد آدم مدفون في التراب بلا شك؛ فصح أن الذي عن يمينه فيضحك؛ وينظر عن شماله فيبكي هو روح آدم؛ والله تعالى أعلى وأعلم..

كل الناس يضحكون مهما كان فكرهم أو جنسهم أو مستوي ذكائهم فالضحك صفة إنسانية. ولكن قد تختلف دوافع الضحك من إنسان إلى آخر؛ ومن موقف إلى آخر لذا تعالى ما يضحك الصالحين والأنبياء؛ ونرى ما يضحك المجرمين والمغرورين من بني آدم؛ تعالى نرى الضحك المذموم؛ ونرى هل الضحك قد ينقض الوضوء أو الصلاة؟ وبداية نقول أن خير مثال للصالحين هو سيد ولد آدم محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين..

الرسول صلى الله عليه وسلم وضحكه

كان رسول الله عليه السلام من أشد خلق الله تعالى تبسطا وتواضعا كان إذا مشى لم يلتفت؛ وإذا مشى مشى مجتمعا ليس فيه كسل؛ عن عوف قال: كان لا يضحك إلا تبسما ولا يلتفت إلا جميعا.. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تبسما حتى إذا استغرقه الضحك كان لا يضحك بصوت مرتفع كما نضحك؛ بل كان أقصى ما يفعله هو أن تظهر أنيابه أو أضراسه من فرط الضحك أو الابتسام..

والسؤال الآن: ما الذي كان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما كان يضحك؟

الإجابة: إن ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثره تعجبا من حكمة وصنعة الله تعالى في خلقه؛ ولكن المتتبع لأحاديث سيد الأنام سيجد أنه صلى الله عليه وسلم بشر يشعر بمشاعر البشر؛ فيضحك لما يضحك الناس ويفرح لما يفرحهم؛ ولكنه صلى الله عليه وسلم ما كان ليفرح إلا بأمور الآخرة كإعطائه الكوثر، كذلك قد يضحك عليه السلام من شدة ذكاء أحدهم أو لشدة غباء آخر أو سوء فهمه؛ وغالبا ما كان يردد: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن.

وتعالى نرى قبسا من ضحكاته صلى الله عليه وسلم لنتعلم كيف نضحك ولما نضحك والله ولي المؤمنين.

الرسول يضحك متعجبا من تصديق الحبر اليهودي لكلام الله

في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أًصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ: وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة. والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون.**الزمر 67.**

وفي الآية دليل على اثبات القبضة واليمين والطي لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل؛ ليس كمثله شئ سبحانه وتعالى.

الرسول يضحك متعجبا من فقه عمرو بن العاص

قال عمرو بن العاص: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل؛ فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت؛ ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي؛ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟! فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما.**النساء29**. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا.

في تلك الواقعة اعتبر عمرو بن العاص أن وجود الماء مع عدم إمكان استعماله يجعل الماء في حكم غير الموجود؛ وعندها يجوز التيمم؛؛ مصداقا لقوله تعالى: فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا.**النساء 43**. وسكوت الرسول وضحكه دليل على جواز فعل عمرو؛ لأنه لو لم يوافق عليه لاعترض وقال بخلافه..

الرسول يضحك متعجبا من فقه علي

قال زيد بن الأرقم: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من اليمن فقال: إن ثلاثة نفر من أهل اليمن أتوا عليا يختصمون إليه في ولد قد وقعوا على امرأة في طهر واحد؛ فقال لاثنين منهما: طيبا بالولد لهذا فغليا. ثم قال لاثنين طيبا بالولد لهذا فغليا. ثم قال لاثنين: طيبا بالولد لهذا فغليا.

فقال علي: أنتم شركاء متشاكسون إني مقرع بينكم فمن قرع فله الولد وعليه لصاحبيه ثلثا الدية؛ فأقرع بينهم فجعله لمن قرع؛ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت أضراسه أو نواجذه.

الواقعة غريبة وفريدة من نوعها فقلما نجد ثلاثة رجال يتنازعون فيما بينهم على بنوة طفل؛ وعلي ها هنا هو يقضي بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ أراد رضي الله عنه أن يحل النزاع بالتفاهم والتصالح فعرض على الرجلين أن يتنازلا بطيب خاطر للثالث ببنوة الولد ولكنهما أبيا ورفضا ذلك؛ فعرض على الأخرين نفس العرض فرفضا وأبيا؛ فلما تبين له أنهم شركاء متشاكسون أقرع بينهم؛ وأعطى الولد لمن فاز بالقرعة؛ وحكم عليه بدفع ثلثا الدية إلى الآخران فسبحان الله الذي فهم علي رضي الله عنه ذلك العبقري الفقيه القاضي ولهذا تعجب رسول الله من نبوغ علي وفطنته وسكت وهذا إقرار منه لقضائه..

الرسول يضحك من سوء فهم عدي

قال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود.**البقرة 187.** قال: أخذت عقالا أبيض وعقالا أسود فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين. فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: وإن وسادك لعريض طويل إنما هو الليل والنهار.

قد يفهم الإنسان من كلام الله تعالى أو كلام رسوله أمر ثم لما يعرض ما فهم على أهل العلم والفهم يجد نفسه قد أخطأ في فهم الآية أو الحديث وأنه قد أوّله على غير حقيقته؛ وهذا بالفعل ما حدث مع ذلك الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه وأرضاه؛ ففهم من الآية ما فهم؛ ولما عرض ما فهمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك رسول الله من تأويله لآية من كتاب الله ولكن لأن ما فهمه كان خطأ صحح له رسول الله تأويله وأفهمه أن المقصود من الآية هو الخيط الأبيض من النهار؛ ومن الخيط الأسود أي الليل؛ أي: وكلوا واشربوا حتى يتبين ضياء الصباح من سواد الليل بظهور الفجر الصادق؛ لا كما فهم وفي هذا تأكيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقر أي إنسان على خطأ.

الرجل لا يصبر على المعصية ولا يقدر على الكفارة

قال أبو هريرة: أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت. فقال عليه السلام: ما شأنك؟.

قال: وقعت على امرأتي في رمضان.

قال: فهل تجد ما تعتق به رقبة؟

قال: لا.

قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال: لا.

قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟

قال: لا.

قال: اجلس؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر؛ فقال: تصدق به.

فقال: يا رسول الله ما بين لابتيها أهل أفقر منا.

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه؛ قال: فأطعمه إياهم.

بالفعل كلما قرأت هذا الحديث لم أستطيع أن أتمالك نفسي من الضحك؛ فانظر كيف أن الإنسان لا يصبر على المعصية؟ فهذا الرجل يعلم أن الله تعالى قد حرم الصائم أن يعاشر زوجته في نهار رمضان لهذا يقول هلكت، ولما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كفارة الجماع في نهار رمضان وهو أولا عتق رقبة؛ فقال: لا أستطيع. فقال: تصوم شهرين متتابعين. قال: لا أستطيع. قال: تطعم ستين مسكينا. قال: لا استطيع. فأتاه النبي بالتمر ليتصدق به تأكيدا على ضرورة الكفارة عن الذنوب وإيضاحا أنه فقير يستحق الصدقة لشدة فقره؛ ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بساطته ومن طيبته الواضحة؛ ولأنه مبعوث رحمة للعالمين يضرب لنا نموذجا عظيما في الرحمة أجاز له أن يتصدق بالتمر على أهل بيته فما أعظمه وما أرحمه من إله؛ وما أعظمه وما أرحمه من دين ورسول.

الرسول يضحك متعجبا من مكر اليهود وكفرهم

قال ابن عباس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا عند الركن؛ قال: فرفع بصره إلى السماء فضحك فقال: لعن الله اليهود -ثلاثا- إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه.

ما أمكر اليهود وما أخبثهم! أصحاب السبت منهم خير مثال على الرغبة في التحايل على شرع الله تعالى. فأصحاب السبت هؤلاء قد حرم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت وابتلاهم بأن يرسل إليهم الاسماك الوفيرة الكثيرة يوم السبت ويمسكها عنهم بقية الأيام ليختبرهم ولينظر ماذا يصنعون؛ فماذا فعل بني يهود؟

كانوا يحتالون على حبسها في يوم السبت في حفر كانوا يحفرونا ليلة السبت فيتركونها ليومهم هذا ثم يأتوا يوم الأحد ليجمعوها. فعذبهم الله تعالى وسخط المعتدي منهم إلى خنازير وقردة..

وفي الحديث السالف يذكر لنا رسول الله إحدي طرق التلاعب عند اليهود بأوامر الله؛ ويضحك متعجبا من فعلهم هذا فقد حرم الله عليهم أكل الشحوم؛ فماذا فعلوا؟ أخذوها وباعوها وأكلوا بثمنها. متناسين أن الله تعالى إذا حرم على الناس أكل شئ فقد حرم عليهم أكل ثمنها؛ تماما كالخمر عندنا حرام وطالما أن الله تعالى حرم علينا شربها فبلاشك قد حرم علينا بيعها وأكل ثمنها. ولهذا قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر فقال: وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الخمر: لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها.

الرسول يضحك من سذاجة عائشة

قالت عائشة: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر؛ فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب؛ فقال: ما هذا يا عائشة؟

قالت: بناتي..

ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع؛ فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟

قالت: فرس.

قال: فرس له جناحان!!

قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟!

قالت: فضحك حتى بدت نواجده.

هـذه ضحكة إنسـانية مـن ضحكات الرسـول عليـه الصلاة والسـلام فعائشـة كمـا نعلـم قـد عقـد الرسـول عليها وهي ابنة سبع سنين ودخل عليها وهي ابنة تسع سنين؛ أو كما قالت هي عليها السلام: إن رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم تزوجني وأنـا بنـت سـبع سـنين، فلمـا قـدمنا المدين أتـين نسـوة فأتتني أم رومان وأنا على أرجوحـة وهيأنني وصنعنني فـأتي بي رسـول الله صلى الله عليه وسـلم فبنى بي وأنا ابنـة تسـع. ولما كانت عائشـة ما زالت طفلة كان عندها لعب لها منهم فرس لـه جناحان؛ ولما اسـتنكر رسـول الله أن يكون هنـاك فـرس ذو جناحـان وسـألها مسـتنكرا: فـرس لـه جناحـان؟! ردت عليـه عائشـة بمنتهى سـذاجة الأطفال ناسـية أنها تحـدث آخـر نبي على وجـه الأرض وقالـت لـه: أما سـمعت أن لسـليمان -قاصـدة النبي سـليمان- خـيلا لهـا أجنحة؟!ولهـذا ضحك رسـول الله مـن سذاجتها وطفوليتها وكما قلنا هذه ضحكة إنسانية محضة.

الرسول يضحك متعجبا من صلافة الأعرابي وغلظته

قـال أنـس: كنـت أمشـي مـع رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم وعليـه بـرد نجراني غلـيظ الحاشـية فأدركـه أعرابي غجبـذه جبـذة شـديدة ورجـع نبي الله صلى الله عليـه وسـلم في نحـر الأعرابي حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله قد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته؛ ثم قال: يا محمد مر لي من مـال الله الـذي عنـدك. فالتفـت إليـه رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم ثـم ضحك ثـم أمـر لـه بعطاء.

فسبحان الله الـذي خلق فيك يـا رسـول الله هـذا القلـب الـرحيم! اقـرأ هـذه الروايـة وأتخيـل لـو أنني كنـت في طريقي وأتـى أحـدهم مـن خلفـي فجـأة وجـذبني مـن ثيـابي بقـوة حتى ان الثيـاب قـد تركـت علامتها على رقبتي ثم ألتفت لأجد أحدهم يطلب مني صدقة! فلا أتخيل نفسي بعدها إلا جاثما عليه أكيل له اللكمات ولكنه رسول الله الذي قال فيه ربه: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.**الأنبياء 107.** وكل مـا فعلـه هـو أن ضحك؛ وأمـر لـه بمـا أراد فعليـك صـلوات ربي وسـلامه وبركاتـه يـا خير الناس أجمعين..

الفاروق يُضحك النبي

عن جابر قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له؛ فوجد النبي جالسا حوله نسائه واجما ساكتا قال: فقلت لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها..

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة..

تلك أيضا ضحكة إنسانية محضة؛ وها هو خير رسوله معه خير نساء وتدور في بيته ما يدور في بيوت كل الناس؛ النساء يسألن الزوج النفقة والمصاريف والزوج لا يملك المال الكافي لما يطلبونه؛ وبسببها أنزل الله تعالى قرآن يتلى إلى يوم الدين؛ فقال: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما.**28-29 الأحزاب**.

وقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

الشيطان يتلاعب بنا في المنام

عن جابر قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: رأيت في المنام كأن رأسي قطع وأنني ركضت وراء رأسي لألحق به. قال: فضحك النبي؛ وقال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس.

للشيطان وقبيله تأثير كبير على رؤيا وحلم الإنسان؛ وقد يتلاعب به فيريه في منامه أشياء مستحيلة أو لا تصدق؛ مثل ما حدث في حلم هذا الرجل الذي جاء يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما رأى في الحلم فقال له: رأيت في المنام أن رأسي قطع وأنني ركضت وراء رأسي لألحق به. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تخيل صورته لو تخيل رواية صاحب هذه الرؤية ولكن رسول الله معلم بل هو خير معلم؛ لذا علم الناس أن لو رأوا في منامهم مثل تلك الأحلام التي تدل على تلاعب الشيطان بأحدنا في منامه فلا يحدثون بها أحد..

أقول: ترى ماذا سيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شاهد إحدى برامج تفسير الأحلام؛ وما يحدث فيها من حمق من السائل ومن الغش والنصب من المسؤول إلا من رحم ربي؟!

الرسول يضحك متعجبا من مجادلة الإنسان لربه

عن أنس قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك؛ فقال: هل تدرون مما أضحك؟

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: من مخاطبة العبد ربه؛ يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم.

قال: يقول: بلى.

قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني.

قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا.

قال: فيختم على فيه؛ فيقال لأركانه انطقي. قال: فتنطق بأعماله؛ ثم يخلي بينه وبين الكلام. قال: فيقول: بعدا لكن وسحقا؛ فعنكن كنت أناضل.

فلله در الإنسان ما أظلمه!! صدق من نعته بأنه: ظلوما جهولا. **الأحزاب72.** فهاهو يقف أمام رب العالمين يوم الموقف العظيم وربه يحاسبه على أفعاله؛ أفعاله التي كتبها في كتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحصاها حتى قال الإمام الأوزاعي ضمن ما قاله للخليفة أبو جعفر المنصور ناصحا: يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك: مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. **الكهف49.** قال: الصغيرة: التبسم. والكبيرة: الضحك. فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن..

ونعود إلى الإنسان الذي هو واقف أمام ربه؛ فيجادل ويقول: يا رب لا أوافق أن يكون على شاهد غير نفسي فيختم الله على فمه لأركانه انطقي. وهو تعالى من أنطق كل شئ فتنطق يداه بما صنعت؛ وتنطق قدماه إلى ما مشت؛ وتنطق عيناه بما رأت؛ وتنطق أذناه بما سمعت؛ وينطق لسانه بما قال. وبالطبع هذا لا نعلم فيه كيفيته فلا نعلم كيف يمكن أن تنطق الأعضاء إذا ما أنطقها الله، ولكن نصدق أن الله قادر على كل شيء وأنه أنطق كل شيء حتى السماوات والأرض نطقتا فقالتا: أتينا طائعين. وأنه تعالى ينطق أعضاء الإنسان إذا شاء وكيفما شاء بما فعلت في حياتها الدنيا واسمع إلى قول الإنسان بعدما سمع أعضائه وهي تنطق شاهدة عليه: بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل.

وهنا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا من مجادلة الإنسان لنفسه، حتى إنه يدعو على ذاته وأعضائه فيقول لهن: بعدا لكن وسحقا. وانظر إلى هذا العبد الآخر يوم القيامة؛ يرحمه ربه فيعرض عليه صغار ذنوبه ويخفي عنه كبارها فيجادل وصدق القائل الذي لا يقول إلا صدقا: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا. **الكهف54.** يجادل ويقول: إني لي ذنوبا لا أراها ههنا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا من قوله وفعله هذا وتعالى نرى الرواية ونضحك مما ضحك منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتعلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه. قال: فتعرض عليه؛ ويخبأ عنه كبارها فيقال: علمت يوم كذا وكذا كذا وكذا؛ وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار؛ فيقال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة. قال: فيقول: إن لي ذنوبا ما أراها ههنا؟!! قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه.

الرسول يضحك متعجبا من سذاجة الأعرابي

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث وعنده رجل من أهل البادية يقول: إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع.. فقال له: ألست فيما شئت؟

قال: بلى؛ ولكني أحب أن أزرع.

فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال.

فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم فإنه يشبعك شيء.

فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا؛ فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم.

والله لا أملك نفسي من الضحك وأنا أكتب تلك السطور؛ سبحان الله؛ الإنسان في الجنة حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومازال يطلب من الله وما زال الله تعالى يعطيه. فهذا الرجل من أهل الجنة يطلب من الله تعالى أن يزرع؛ فيسأله الله تعالى وهو أعلم بنفسه منه: ألست فيما شئت في الجنة؛ ماذا ينقصك؟ فيقول الرجل: بلى؛ ولكني أهوى الزرع وأحبه؛ فيأذن الله تعالى له ولما لا وهو تعالى القائل عن أهل جنته: وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. **الأنبياء102.** فيبذر الحب فينمو الزرع بسرعة بالغة فيكون أمثال الجبال..

وما أن ينتهي الرسول صلى الله عليه وسلم من روايته حتى يخرج الأعرابي بمقولة تضحك رسول فيقول: والله هذا الرجل قرشي أو أنصاري لأنهم أصحاب زرع؛ وحتما ليس بأعرابي من أهل البادية لأننا لسنا أصحاب زرع. فيضحك رسول الله لسذاجته البريئة لأن أمة محمد أمة عظيمة لم ولن تقتصر على أهل قريش أو الأنصار فقط دون غيرهم من أهل الإسلام؛ وهذه ضحكة إنسانية جديدة من ضحكات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرسول يضحك من زوجه عائشة

عن عائشة أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر؛ وهي جارية -أي صغيرة- قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال لأصحابه تقدموا فتقدموا؛ ثم قال: تعالى أسابقك فسابقته فسبقته على رجلي. فلما كان بعد خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: تقدموا فتقدموا؛ ثم قال: تعالى أسابقك. -ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم -أي بدنت- فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذا الحال؟!

فقال: لتفعلن. فسابقته فسبقني؛ فجعل يضحك وقال: هذه بتلك السبقة.

أرأيتم ها هو رسول الله سيد ولد آدم وآخر المخاطبين بالوحي والمتكلمين بلسانه؛ يلاعب زوجته وحبيبته ويمازحها. وكما كان عليه السلام يشرب من مكان شربها ويطعمها بيده كان يدعوها للتسابق؛ فدعاها مرة فسبقته وهي ما زالت نحيفة خفيفة البدن؛ فلم ينسى تلك الواقعة ودارت الأيام حتى سمنت عائشة عليها السلام فدعاها مرة للسباق ذات يوم فسبقها فأخذ يضحك ويذكرها أن هذه بتلك.

وبالطبع هذه ضحكة إنسانية صرفة تدل على خفة روح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدل على إجتماعيته التي لا مثيل لها؛ وصدق الله القائل: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. **الأحزاب 21**.. هذا هو رسول الله وهذه نماذج من ضحكه عليه الصلاة والسلام؛ نماذج مما كان يضحكه حتى لا يأتي من يزعم إتباع سنة رسول الله في الزي الذي كان يرتديه؛ في لحيته؛ في بعض أعماله؛ وينسى أخلاقه صلى الله عليه وسلم؛ أخلاقه التي كانت القرآن؛ ترى الواحد منهم عابسا مكفهرا في وجه كل البشر؛ ينسى قوله عليه السلام: تبسمك في وجه أخيك صدقة.

ينسى خفة ظل رسول الله وتبسطه وتواضعه؛ فكان صلى الله عليه وسلم يضحك ويفرح ويدعو الله تعالى أن يقيه من الهم والحزن هذا رغم كل مسئولياته ونبوته وأحماله التي يضن لحملها الجبال؛ ورسالته وخلافته في الأمة المسلمة وقيادته لها؛ ناهيك عن حياته الاجتماعية كزوج وجار وصاحب لأصحابه رغم كل هذا يضحك فرحا ويضحك تعجبا ويضحك كما يضحك الإنسان إذا ما عرض له موقف يستحق الضحك؛ حتى أنه كان يضحك من المؤمن العاصي كعبد الله الذي كان يلقب بجِمار؛ وهو الذي كان كثيرا ما يؤتي به للجلد لشرب الخمر؛ كان يضحك رسول الله وشهد له رسول الله بأنه رغم معاصيه فهو يحب الله ورسوله؛ أو كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن عمر بن الخطاب أن رجلا اسمه عبد الله يلقب حمارا؛ كان يضحك النبي صلى الله

عليه وسلم وكان النبي قد جلده في الشراب؛ فأتي به يوما فأمر به فجلد؛ فقال رجل من القوم: اللهم لعنه؛ ما أكثر ما يؤتى به. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعنوه؛ فو الله ما علمت أنه يحب الله ورسوله.

في ضحك الصحابة عليهم السلام

هذا أيضا كان ضحك صحابته عليهم السلام؛ عن قتادة قال: سئل ابن عمر: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟

قال: نعم؛ والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل..

وقال بلال بن سعد: أدركتهم يشتدن بين الأغراض ويضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهبانا. وفي الحديث الذي رواه البخاري عن عقبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر العصر؛ ثم خرج يمشي ومعه علي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعلي. وعلي يضحك.

الضحك من الاستحياء

وسنعرض لكم أيضا من السنة نوع جديد من الضحك؛ وهو ضحك بالنساء أليق وهو ضحك الاستحياء فالإنسان قد يشعر بالحياء وتعتلي صفحة وجهه حمرة الخجل فتجده يضحك استحياء كما سنرى في الضحكات النسائية التالية:

ضحك عائشة:

عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قال عروة فقلت لها: من هي إلا أنت. فضحكت.

ضحك أم سلمة:

عن أم سلمة أن امرأة جاءت الرسول فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق؛ هل على المرأة غسل إذا احتلمت؟

قال: نعم؛ إذا رأت الماء.

فضحكت أم سلمة فقالت: أتحتلم المرأة؟!!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففيم يشبهها الولد.

ضحك ابنة أنس:

عن أنس: امرأة عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فضحكت ابنة أنس فقالت: ما كان أقل حياءها.. فقال أنس: هي خير منك عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم.

الضحك في الفقه الإسلامي

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثرة الضحك وقال: كثرة الضحك تميت القلب. وتميت القلب أي تجعله قاسيا جافيا. ولذا سترى أن البكاء كان أغلب على الأنبياء والصالحين.

وليس كل الضحك محمود في الفكر الإسلامي بل هناك ضحك مذموم مكروه آثم فاعله؛ كالضحك على وجه السخرية والاستهزاء والانتقاص من الناس؛ وكذلك الضحك من جاهل يسأل عالم؛ والضحك والقهقهة في الصلاة قد تبطلها عند جمهور المذاهب من مالكية وشافعية وحنابلة وقد ينتقص وضوؤه أيضا في أحد القولين في مذهب أحمد؛ وكل هذا سنبينه بأمر الله تعالى في السطور القادمة.

الضحك المذموم

ضحكك الكفار من النبي

عن عبد الله ابن مسعود قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة؛ وجمع قريش في مجالسهم إذ قال قائل: أيكم يقوم إلى جزور آل فلان؛ فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها؛ ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه. وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك. فانطلق منطلق إلى فاطمة فأقبلت تسعى وثبت النبي ساجدا حتى ألقته عنه؛ وأقبلت عليهم تسبهم؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة؛ قال: اللهم عليك بقريش -ثلاثا- وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا: اللهم عليك بعمرو بن هشام؛ وشيبة بن ربيعة؛ والوليد بن عتبة؛ وأمية بن خلف؛ وعقبة بن معيط؛ وعمارة بن الوليد.

قال عبد الله بن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب -قليب بدر- ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأتبع أصحاب القليب لعنة.

الضحك من مصائب الغير مكروه

دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون. فقالت: ما يضحككم؟!

قالوا: فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب.

فقالت: لا تضحكوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة؛ ومحيت عنه خطيئة.

إضحاك الناس بما يغضب الله حرام

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن العبد ليقول الكلمة؛ لا يقولها إلا ليضحك به الناس يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض، وإنه ليزل عن لسانه أشد ما يزل عن قدمه. وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به قوم ويل له ويل له.

الضحك من الجاهل إذا سأل

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة؛ خلقا تخلق؟ أم نسجا تنسج؟ فضحك بعض القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومم تضحكون؟! من جاهل يسأل عالما؟ ثم أكب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال: أين السائل؟ قال: هو ذا أنا يا رسول الله.

قال: لا بل تشقق عنها ثمر الجنة. ثلاث مرات..

الضحك على وجه الانتقاص مكروه

روي أن عبد الله بن مسعود انكشف ساقه وكانت دقيقة هزيلة فضحك منها بعض الحاضرين فقال صلى الله عليه وسلم: أتضحكون من دقة ساقه؟! والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد.

الوضوء من القهقهة مستحب؛
أحد القولين في مذهب أحمد

قال ابن تيمية في مجموع فتاويه: الوضوء من القهقهة مستحب في أحد القولين في مذهب أحمد؛ والحديث المأثور في أمر الذين قهقهوا بالوضوء؛ وجهه أنهم أذنبوا بالضحك؛ ومستحب لكل من أذنب ذنبا أن يتوضأ ويصلي ركعتين كما جاء في السنن عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له؛ والله أعلم.

هل القهقهة في الصلاة تبطلها؟

سئل ابن تيمية عن رجل ضحك في الصلاة فهل تبطل صلاته أم لا؟

فأجاب: أما التبسم فلا يبطل الصلاة وأما إذا قهقه في الصلاة فإنها تبطل؛ ولا ينتقض وضوؤه عند الجمهور كمالك والشافعي وأحمد لكن يستحب له أن يتوضأ في أقوى الوجهين لكونه أذنب ذنبا.. **وقال الغزالي في إحيائه عن الضحك:** أما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله.

وقال بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها: الضحك من غير عجب؛ والأكل من غير جوع؛ والنوم بالنهار من غير سهر بالليل.

وقال عمر بن الخطاب: من كثر ضحكه قلت هيبته؛ ومن مزح استخف به؛ ومن أكثر من شيء؛ ومن كثر كلامه كثر سقطه؛ ومن كثر سقطه قل حياءه؛ ومن قل حياؤه قل ورعه؛ ومن قل ورعه مات قلبه.

الفصل الثاني

الجن والملائكة وضحكهم

ما جاءنا عن ضحك الملائكة والجن في الأثر جد قليل قليل؛ حتى يكاد يظن المطلع أن صفة الضحك منفية عن هذين العالمين؛ عالم الملائكة وعالم الجان. فبالنسبة إلى الملائكة لم نجد في الأثر ما يفيد ضحكهم إلا في حديث وحيد قد رويناه في المقدمة؛ وهو الحديث الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل متسائلا: لماذا لا يضحك ميكائيل؟! فأخبره جبريل أن ميكائيل لم يضحك منذ خلقت جهنم. فدل هذا الحديث على أن الملائكة يضحكون ولهذا تنبه رسول الله عليه السلام أن ميكائيل لا يضحك. ولهذا تعجب وسأل جبريل عن سر عدم ضحكه؛ وإلا لو كانت كل الملائكة لا تضحك لما كان هناك محل للسؤال عن سر عدم ضحك ميكائيل.. ويفهم كذلك أن ميكائيل كان يضحك قبل أن يخلق الله جهنم والله تعالى أعلى وأعلم..

أما عن سبب ضحك الملائكة أو كيفيته أو آليته فهذا ما لا نعلم فيه قول؛ فوجب التوقف فيه لأن الجان والملائكة من الغيبيات التي يتوقف عندها بالسمع..

الشيطان يضحك

أما الجان فلم يأتي نص صريح صحيح يخبرنا أن الجان يضحك؛ ولكن جاء في حديث واحد أن الشيطان يضحك من تثاؤب الإنسان؛ وبالأدق من تغير شكل الإنسان عند التثاؤب إلى شكل قبيح؛ والشيطان هو الخبيث من الجان؛ فدل هذا على أن الجان في العموم يضحك.

أما سبب ضحك الجان على العموم وكيفيته وآليته فلا نعلم فيه قول؛ ووجب التوقف فيه.

أما عن سبب ضحك الشيطان فنقول أنه السخرية والاستهزاء من بني آدم الذي يكن لهم كل كره وحقد وغل.

والشياطين ليست صنف من أصناف الجن الثلاث؛ بل الشيطنة كما قلنا هي صفة للخبث من الجن؛ فالشيطان في اللغة أتت من واحد شياطين؛ وهو مشتق من شطن إذا بعد فهو بعيد بطبعه وبفسقه عن طباع الخير. وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده؛ وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان. قال ابن عقيل: والشياطين العصاة من الجن؛ وقال الجوهري: كل عات من متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان.

ومن هنا يتبين لنا أنه ليس كل جني شيطان وليس كل شيطان جني؛ بل الشيطان صفة يصل إليها المخلوق بصفاته الخلقية المذمومة وطباعه الباطنية الخبيثة؛ سواء أكان إنسيا أم جنيا؛ وصدق الله القائل: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن.**الأنعام112**. بل ومن الحيوان أيضا شياطين؛ ومنها الكلب الأسود شديد سواد اللون؛ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكلب الاسود البهيم شيطان.. وقال عليه السلام عن الرجل الذي كان يجري يتبع حمامة تطير في الجو: شيطان يتبع شيطانة.

إذا فكل مخلوق عات متمرد خبيثث الطبع يتصف بالشيطنة سواء أكان من الإنس أم الجن أم الدواب.

قلنا أن الشيطان الرجيم قد ثبت أنه يضحك؛ ولكن لأنه خبيث الطبع والطباع ولأنه شرير فاسق عن أمر ربه؛ ولأنه عدو الإنسان المبين فكل هدفه ومناه في تلك الحياة الدنيا هو الإنتقام من آدم وبنيه؛ ونشر الكفر والظلم والفساد بينهم؛ فهذه رسالته الأولى وهدفه الأسمى؛ كل هذا حتى يكون شركائه في النار؛ لذا فضحكه لا يخرج سببه عن الشماتة في الإنسان والاستهزاء به وجره إلى خطواته الشيطانية التي لا تخرج عن خطوات تقرب من غضب الله تعالى واكتساب لعنته حيث لا يكون هناك فرق كبير بين الشيطان وبين الإنسان؛ والإثنان يجتمعان لا يفترقان في الحياة الجهنمية الأبدية في الآخرة..

في السطور السابقة تكلمنا عن الضاحكان الأولان من سكان الملأ الأعلى من الملائكة؛ وسكان الملأ الأسفل من الجن والشياطين؛ وبينهما الإنسان؛ وهؤلاء االمخلوقات الثلاثة الضاحكة لذا وجب أن نتعرف عليهم أكثر والله مولى الذين آمنوا والذين كفروا لا مولي لهم..

عـالم الجـان

الجـن هـم شـركاء الإنسـان في الأرض؛ فـالأرض فيهـا نـوعين مـن المخلوقـات الأحيـاء: الأولى هي المخلوقـات المنظـورة المتسأنسـة بـالعين المجـرة أو التي يمكـن أن تـرى بـالعين كالإنسـان والحيـوان والطيـور والأسـماك وغيرهم مـن الكائنـات الدقيقـة التي لا تـرى إلا بوسـائل مسـاعدة كالفيروسـات والفطريات.

والنـوع الثـاني هـم المخلوقـات الغير منظـورة ولا المسـتأنسـة بـالعين؛ كالجـان الـذين خلـق الله تعـالى أصـولهم مـن نـار؛ وأسـكنهم الأرض وذلـك قبـل خلـق الإنسـان؛ وكلفهـم بالشـريعة فهـم متعبـدون لله تعالى؛ أو كما قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. **الذاريات56.**

وقـال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم: خلقـت الملائكـة مـن نـور، وخلـق اللجـان مـن مـارج مـن نـار، وخلـق آدم ممـا وصـف لكـم. في هـذا الحـديث النبـوي الشـريف يخبرنـا رسـول الله عـن أصـول المخلوقات الثلاث العالمة والمتعلمة فأخبرنا عن الملائكة عليهم السلام وأن أصل وبداية خلقهم كان هـو النـور، وأخبرنـا عـن شـركائنا الأرضـيين الجـان وأن أصـل خلقهـم وبدايـة خلقهـم كـان هـو النـار، وأخبرنا عـن أصـلنا نحـن البشـر وأنـه كـان آدم؛ وآدم كـان أصـله وبدايـة خلقـه هـو الـتراب؛ قـال صلى الله عليه وسلم: كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب.

وبـالطبع نعلـم أن آدم قـد تحـول مـن الصـورة الجماديـة إلى الصـورة الحيـة بـنفخ الـروح فيـه؛ وأنـه تحول إلى لحم ودم وعروق وإلى آخر ذلك مما يعلمه كافة البشر.

وكـذلك الجـان والملائكـة تحولـوا عـن أصـل خلقـتهم الناريـة والنورانيـة إلى خلـق آخـر وأجسـاد أخـرى؛ مـا هي؟ وكيـف هي؟ ذلـك لا علـم لنـا بـه؛ لأن عـالم الجـان وعـالم الملائكـة مـن العـوالم الغيبيـة الـتي يتوقـف العلـم فيهـا على السـمع والنقـل فقـط؛ وكل مـا يقـال فيـه بغـير نـص فهـو درب مـن دروب الظن؛ والظن لا يغني من الحق شيئا..

وقـد بلغـني قـول بعـض المبتدعـة الضـالة الـذين أنكـروا وجـود الجـن وقـالوا: الجـان هـو اسـم لكـل مـا هـو مسـتجن متخفي أو مخفي عـن أعـين النـاس، قـالوا: ولهـذا سـتجد في اللغـة أن الطفـل في بطـن أمـه يسـمي جنينـا.. وينـدرج تحـت ذلـك كـل إنسـان أو حيـوان متخـف..من هـؤلاء البهائيـة الضـالة الـذين قـالوا: نـؤمن بالملائكـة ونكفـر بوجـود الجـان؛ لأننـا مطـالبون بالإيمـان بالملائكـة في قولـه تعـالى: كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.**البقرة285.**

قـالوا: قـد نـص الله على الإيمـان بهـذا فقـط؛ ولـم يطالبنـا بالإيمـان بـالجن لـذا فـنحن ننكـر الجـن.. والـبعض الآخـر قـالوا: الفيروسـات والميكروبـات هـم الجـان؛ لأن العـين لا تأنسـهم ولا تـراهم. وأخـرين

قالوا: الجان هم نفوس الإنسان الأمارة بالشر؛ وأن إبليس كان نفس آدم الشريرة المذمومة؛ فعند هؤلاء أن كل واحد منا نحن البشر يحمل بين جنبات جسده واحد من الجن؛ وأن نفس الإنسان هي المخلوقة من النار؛ وهي النفس الغضبية؛ قالوا: ألا ترى الواحد من البشر إذا غضب احمر وجهه وارتفعت حرارته؟!!

ولكل هؤلاء نقول: أننا معشر المسلمين لا نسمي الأشياء من عند أنفسنا ولا بعقولنا ولا بهوانا؛ والأسماء والمسميات متفق عليها لغة بين البشر؛ ومتفق عليها شرعا عند أصحاب كل شرع؛ ولا يجوز قلب المتفق عليه والمتعارفف والمتفاهم عليه لغة بين البشر هكذا دون دليلا ولا برهان. وشهرة اللغة أشهر من شهرة الشرع.

أما بالنسبة للألفاظ الشرعية فنحن المسلمين متفقين على أن نسمي الأشياء كما سماها الله تعالى وبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكل الأسماء الشرعية عندنا توقيفية نظرا لقوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها.**البقرة31**. والأسماء هي اسم لكل شيء؛ والأسماء هي مقدمات كل العلوم؛ فلا علم بلا أسامي هذا من ناحية الأسماء. أما من ناحية المسميات فقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن الإنس والجن الملائكة؛ وأنهم ثلاث عوالم مختلفة تسري عليهم قوانين مختلفة ولهم طباع وكيفيات مختلفة وبين رسول الله عليه السلام تلك العوالم الثلاثة وبين فيها أعلى بيان؛ وعليه وجب علينا أن نبين للناس طبيعة وحقيقة كل عالم من تلك العوالم مؤكدين أن الإنسان ليس الكائن الوحيد الذكي والعاقل والناطق والضاحك وصاحب الإحساس والمشاعر في المنظومة الكونية المرئية منه والغيببية وذلك على النحو التالي:

أولا: خلق الإنسان

هذا المخلوق المذهل المسمى بالإنسان والمملوء حياة ونضارة والذي بين أعيننا الآن يتحرك ويتكلم ويفعل ويتفاعل ويضحك ويبكي ويخاف ويحتار ويفكر ويندهش تبدأ حياته في عوالم مظلمة عالم البويضة الملقحة عالم الرحم؛ عالم الكيس الجنيني المملوء عن آخره بالماء؛ ثم يخرج الإنسان إلى الحياة الدنيا في ميعاد ليس له فيه من يد أو إرادة؛ يخرج طفلا عاريا ضعيفا لا حيلة له بحيث لو ترك وحيدا هلك ومات.. ثم يتطور إلى كهلا وعجوزا وهرما لا حيلة له؛ فكلنا دون نكير نشاهد الإنسان وهو يتطور يوما من بعد يوم من طفل إلى صبي إلى شاب إلى كهل إلى عجوز إلى هرم إلى موت محتوم ليس للإنسان فيه قرار؛ فالإنسان خرج إلى الحياة دون استشارة ويخرج كذلك من الحياة دون استشارة فدل هذا على وجود قوة عظمى مسيطرة تخلق ما تشاء وتفعل ما تريد وقت ما تريد؛ ونحن كلنا خاضعون لسيطرة تلك القوى المهيمنة سواء آمنا كلنا أم كفرنا كلنا؛ هي قوة وسيطرة وقدرة الله الواحد الأحد الذي أخرج أصل الإنسان -آدم- من تراب إلى كائن حي؛ ومنه ومن زوجه خرج كل الأحياء البشريين والذين من بعد ذلك يموتون ثم يعودوا إلى أصلهم الذي أطلقهم الله منه؛ أي التراب، وعند الموت تتوقف كل الحسابات العقلية والمنطقية والعلمية الحياتية وتتوقف الأسماع والأبصار وآلات الإدراك البشري عن العمل؛ فعند الموت ينعدم العقل كما تنعدم الجاذبية في الفضاء الفسيح الذي تقع فيه الكرة الأرضية كذرة رمل في محيطات فسيحة متباعدة الأعماق والأبعاد..

والتراب ليس بالعنصر التافه المستهان به كما قد يظن بعض ضعاف العقل والعلم والتقدير؛ حتى إن العالم الكبير عالم الفلك الأشهر جاليليو جاليلي كان يرى التراب من أنفس وأثمن وأقيم العناصر الكونية فكان يقول: هل هناك غباء يمكن تصوره أكثر من أن نسمي الجواهر والذهب والفضة أشياء ثمينة؛ وأن نسمي التراب والطين أشياء وضيعة؟!! أفلا يرى هؤلاء الناس أنه إذا كان التراب نادر ندرة الجواهر والمعادن الثمينة فإن أي أمير سيسعد أن يقدم كومة من الماس وأكياسا من الذهب ويأخذ نظير ذلك حفنة من تراب تملأ إناء صغير ويزرع فيه عودا من الياسمين ويراه ينبت أمام ناظريه وتنبثق منه الأوراق الخضراء أو الورود ذات العبير. إذا فالندرة أو الوفرة هي التي تجعل العامة يقدرون هذا الشيء أو يحقرونه..

وهل ينكر عاقل أن الإنسان يستحيل من بعد موته إلى تراب لا تميزه عن بقية تراب الأرض إلا بكونه تراب جديد فق تراب قديم؟!! تفكر في هذا أيها الإنسان وانظر معي إلى هذا التراب الذي يأخذه الإنسان منذ قديم الزمن بقبضة يده من الأرض ويعمل فيه عقله وعلمه وإبداعه ليصنع

به طوبا يشيد به الأبنية والدور؛ أو تمثالا فخاري يحاكي الأحياء دقة وإبداع؛ أو آنية لطهي الطعام أو لتناول الشراب؛ أو لحفظ الزهور.. فكر في أن هذه الطوبة أو التمثال أو المزهرية هو عبارة عن تراب جدك أو عمك أو أبناء عمومتك الأولين!! تفكر في هذا وفكر في أنه إذا كان الإنسان القديم قبل الحديث يقدر أن يصنع من هذا التراب هذه التحف والمصنوعات المبهرة للعيون والبراقة في العقول؛ فكيف برب الإنسان القادر على كل شيء أن يصنع من هذا التراب؟!! صنع الله تعالى من هذا التراب هذا الإنسان عظيم الخلقة وبديع الصنعة؛ فقد أمر الله تعالى قد أمر الملائكة أن تحضر له قبسا من تراب الأرض كلها؛ أحمرها وأسودها وغيرهم؛ فخلق الله منها الإنسان الأول آدم لذا ستجد أن الناس في ألوانهم مختلفين ففيهم الأبيض والأسود والأحمر ومن هو بين ذلك. وكذلك جاء الناس في صفاتهم مثل الأرض تماما فمنهم الطيب ومنهم الخبيث ومنهم من هو بين ذلك؛ ومنهم اللين الطباع ومنهم الصعب الطباع العنيد. وكذلك تربة الأرض فيها الخبيث البور الذي لا ينبت فيه زرع ولا خير ومنها الطيب الخصب الذي تنبت فيه بعض بذور النباتات؛ وفيها من تنبت كافة البذور كلها. أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض؛ فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ جاء منها الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك؛ والسهل والحزن والخبيث والطيب.

وفي الجنة خلط الله تعالى بيديه الكريمتين التراب بالماء والهواء فصار طينا؛ ولما جف الطين صار صلصال كالفخار الذي صنع منه الإنسان المصري القديم القلة والزير. ثم ترك هذا التمثال الفخاري الأجوف في الجنة هكذا ما شاء الله من زمن ثم ينفخ الله تعالى فيه تلك النفخة العجيبة المدهشة المسماة بالروح فصار هذا الإنسان الحي الذي نراه مثله الآن في كل مكان وزمان أشباه وأمثال من كل لون وجنس ولغة وحضارة ودين..

قصة خلق الإنسان في الإنجيل

قال جاك مايلز في كتابه سيرة الله؛ حاكيا عن قصة أصل خلق الإنسان كما هي موجودة في الإنجيل: لم يعد الإنسان على الأرض بوصفها فردوسا طبيعيا هائلا ينمو فيها ويتكاثر؛ وإنما فقط في جنة غرسها الله في عدن شرقا؛ وجعل فيها الإنسان ليفلحها ويحرسها... من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتا. **(تكوين2: 16-17)** الآن فهناك محظورات لأول مرة وهي تبدو لخير الإنسان ومصلحته لكننا نتسائل: إن كان ينبغي على الإنسان أن يخضع الأرض فلماذا لا يسمح له بمعرفة الخير والشر؟! كما أن الإنسان لا يجد أمامه حافزا للطاعة المطلوبة إلا حافزا واحدا لا معنى له. وفي أول كلام ينطق به بشري في الكتاب المقدس نجد أن الإنسان يهلل للمرأة مبتهجا ولكن دون أن يعبر عن أي امتنان أو اعتراف بالجميل تجاه الرب الإله: ها هذه المرة عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تسمى امرأة لأنها من إمرئ أخذت.**(تكوين 2: 23)**

ثم يأتي وصفا مسهبا للخطيئة: كانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان. وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي صنعه الرب الإله. فقالت للمرأة: أيقينا قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟! فقالت المرأة للحية: من شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه كيلا تموتا.

فقالت الحية للمرأة: لن تموتا إنما الله عالم أنكما يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر.

ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة منية للعقل فأخذت ثمرها وأكلت وأعطت بعلها فأكل فانفتحت أعينهما فعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر.**(تكوين 2: 25-7:3)**

عندما تقول الحية للمرأة إنها لن تموت إذ تأكل من شجرة المعرفة الخير والشر بخلاف ما قاله الرب الإله فأنها تقول الحقيقة. فالمرأة والرجل لن يموتا إذا ما انتهكا أمر الرب الإله وهما لا يموتان فعلا كما حذرهما الرب الإله: يوم تأكل منها تموت موتا.

فهل تمثل قدرة الحية على إحباط مخطط الرب الإله تشكيكا بقدرته؟

أم أن حدث الإغواء برمته مرتب ومعد مسبقا؟

هل الحية عميل سري لدى الرب الإله؟

أم أنها تقوم بهذا الدور من غير قصد أو دراية؟

يمكن لنا أن نتفادى هذه المصاعب جميعا مع الاحتفاظ للحية بدور المحتال ، وذلك بالقول أن الرجل والمرأة ماتا فورا بالفعل، ولكن ذلك الموت هو موت روحي وليس جسدي. وهذا هو تفسير اللاهوتي الكلاسيكي لسقوط الإنسان أو الخطيئة الأصلية لكننا سنرى مرة بعد أخرى أن هذا السرد الذي نقرأه لا يميل إلى المعاني الروحانية أو الرمزية الصرفة وإنما هو مولع جدا بقصص الخداع والاحتيال من كل نوع، وبدلا من إزالة الصراع بإضفاء طابع روحاني على الموت أو بتبرير الاحتيال يمكن أن نرد الصراع إلى الرب الإله الذي هو سبب السراء والضراء في حياة مخلوقاته إذ تتصارع ضمن شخصيته دوافع كل من الخير والشر..

تأتي نقطة الانعطاف في الأحداث حين يكتشف الرب الإله أن الرجل وزوجته قد عصياه: فسمعا صوت الرب الإله وهو متمش في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله بين شجر الجنة. فنادي الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ قال: إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت.

قال الرب الإله: فمن أعلمك أنك عريان؟! هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها؟

فقال آدم: المراة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

فقال الرب الإله للمرأة: ماذا فعلت؟!

فقالت المرأة: الحية أغوتني فأكلت.**(3: 8- 13)**

إن اللغة التي يصدر بها الرب الإله أمره الواحد غير معلل ومن ثم يتحادث بها مع الرجل والمرأة بعد عصيانهما لهي لغة يتمكن لأي بشري أن يستخدمها في حديثه مع بشري لآخر. فهي خالية من تلك البساطة المهيبة المجردة التي نجدها في لغة الإصحاح الأول من التكوين كما أنها خالية أيضا من أي ترفع شعري أو بلاغي. لكن هذه اللغة تتغير عندما يعاقب الرب الإله الإنسان على خطيئته التي اكتشفها. وما يصبه من لعنات على الحية والمرأة والرجل على التوالي هو عبارة عن تفجر غاضب عنيف وهو أيضا أول قصيدة طويلة في سفر التكوين: فقال الرب الإله للحية: إذ صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحش البرية، على صدرك تسلكين وترابا تأكلين طوال أيام حياتك. وأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه.

وقال للمرأة: لأكثرن مشقات حملك بالألم تلدين البنين؛ وإلى بعلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: إذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتك قائلا لا تأكل منها؛ فملعونة الأرض بسببك بمشقة تأكل منها طوال أيام حياتك؛ وشوكا وحسكا تنبت لك؛ وتأكل عشب الصحراء بعرق وجهك تأكل خبزا تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود. **(3: 19-14)** وحتى لو علمنا أن الرب الإله يمثل تمثيلا وأنه لم يكن بحاجة لسؤال الرجل والمرأة عن مكانهما أو لسؤالهما بعد ذلك عمن أعلمهما أنهما عريانان فإننا نبقى غير مهيئين لاستقبال ردة فعله الإنتقامية وقسوتها.

وفي الآية 21 من الإصحاح الثالث في التكوين نجد أن تلك الحرقة البريئة في ندائه السابق تصبح شيئا أعمق: وصنع الرب الإله لأدم وامرأته قميصا من جلد وكساهما.

فكيف لنا أن نقرأ تلك الآية إن لم نقرأها كتعبير عن ندم الرب الإله على ندمه؟ لقد فرض على المرأة منذ قليل مشقة الحمل وألم الولادة، وفرض على الرجل عمل الأرض المجهد فلماذا يشعر الآن أن عليه إراحتهما من متاعب صناعة اللباس؟! لماذا إن لم يكن ببساطة قد شعر بالندم على كل ما جرى؟!! والحنان يزيل النقمة حقا؛ لكنه يجعل التناقض أكثر إثارة للأعصاب، فالرب الإله الحنون تجاه مخلوقيه هو نفسه الذي يقول في آية تأتي بعد ذلك مباشرة: هو ذا آدم قد صار كواحد منا، يعرف الخير والشر، والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل، فيحيا إلى الدهر.**(22)**

وهذا برهان آخر على أن الحية كانت تقول الحقيقة: لن تموتا؛ إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه (من ثمر الشجرة المحرمة) تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر.

وهذا ما حدث فعلا بشهادة الرب الإله نفسه فلماذا حاول الرب الإله أن يخفي أن هذا ما سيحدث؟ ولماذا أراد أن يحول دون أن يحيا الإنسان إلى الأبد فلماذا لا يعيش الإنسان إلى الأبد؟!! أما كان للخلود لو سمح به الرب الإله أن ييسر طاعة الأوامر الإيجابية التي أمر بها الإنسان: انموا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها؟!!

قصة خلق الإنسان في القرآن

في القرآن سنجد حديثا آخر عن قصة الإنسان وبداية نشأته؛ فالقرآن والسنة النبوية الصحيحة تؤكد أن بداية الإنسان لم تكن على هذه الأرض؛ فقد بدأت هناك.. فوق في السماوات العلى؛ بدأت في الجنة...

ولأن الله تعالى يخرج الإنسان من بطن أمه جاهلا لا يعلم شيء عن أي شيء من دروب العلم؛ كذلك خرج الإنسان آدم من الحالة الجمادية إلى الحالة الحية؛ خرج جاهلا لا يعلم أي شيء من دروب العلم فعلمه الله تعالى أساسيات العلوم ومبادئها وأعمدتها وهي علوم الأسماء فلكل مخلوق اسم؛ ولكل علم كذلك؛ والأسماء هي مقدمات العلوم فلم يكن الإنسان الأول -آدم- جاهلا بدائيا متوحشا كما تصوره الأفكار البشرية الناقصة العلم وتجسده الأفلام الأمريكية في كافة أفلامها والتي هي بوق الإلحاد والمادية..

لا والذي نفسي بيده لم يكن آدم نبي الله وأصل الإنسانية بهذه الصورة المهينة الحقيرة التي يتصورها الإنسان حتى خرج من ينادي فينا أن أبونا الأول كان قردا قبيح الصورة والتقويم كعام الطبيعية الإنجليزي الفذ دارون! ونعود إلى أبينا الذي علمه الله تعالى أسماء كل شيء حتى يعلم الأرض من السماء والبحر من المحيط من النهر؛ والتفاح من الطماطم والموز من البطاطا وهكذا؛ فكل هذه الأسماء لم يسمها الإنسان بل سماها رب الإنسان الذي علم الإنسان مالم يعلم.. قال تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العلم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. **31-33 البقرة.**

فعلم الله سبحانه وتعالى مخلوقه المدلل آدم كل الأسماء أي اسم كل ما له جسم وصفة؛ ثم عرض الله تعالى على الملائكة صور كل تلك االأشياء وقال لهم: أخبروني بأسماء هاتيك الأشياء فعجزوا عن معرفة ما لا يعرفون وأقروا بعجزهم وبجهلهم أمام رب العالمين الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وأنبأهم آدم ذلك المخلوق الحديث عهد بالحياة.

وبعد هذا أمر الله تعالى الملائكة جميعهم بالسجود لآدم سجدة تحية وتقدير؛ وكان ضمن هؤلاء الملائكة ذلك المخلوق الجني المسمى بإبليس الذي رفض أمر الله تعالى وأبى وكان من االكافرين: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين.. وقلنا يا آدم

اسكن آنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه..**34-36 البقرة.**

هذا هو الإختبار الأول لآدم؛ فقد أسكنه الله تعالى جنة النعيم حيث مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وقال له هيت لك كل الجنة وما فيها تحت قدميك؛ كل واشرب وافعل ما تريد.. ولكن كما قالوا أجدادنا القدماء: جنة بدون ناس لا تُداس.. شعر آدم في الجنة بالوحدة والوحشة فليس هناك من هو مثله يشعر كما يشعر؛ ليس هناك من يتحدث إليه أو يفهمه أو يضحك أو يبكي معه؛ ولهذا خلق الله تعالى له الجليس والأنيس؛ خلق له المرأة حواء من ضلع من أضلاعه لتكون جزء منه؛ فأحبها آدم بكل قلبه وروحه ووجوده؛ وأبلغها آدم بالأمر الألهي الوحيد لهما في الجنة: اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين.. والتزما كلاهما بأمر الله تعالى ونهيه فترة طويلة من الزمن حتى كاد أن ينسى آدم وحواء ذلك الأمر والنهي.

وخارج الجنة كان الجني إبليس يتلظي في نار الحسد والكره لهذا الآدمي؛ وينتظر الأمر الإلهي بالسماح له بدخول الجنة حتى يمارس الغواية والوسوسة في صدور وقلوب البشريين الوحيدين آنذاك ليوقعهما في الخطيئة الأولى؛ وها قد سمح الله تعالى له بذلك استثناءا من القاعدة التي تنص على أن الكافرين لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل من خرم الإبرة؛ أدخله الله الجنة أو سمح له بدخولها ليختبر آدم؛ وبالفعل دخل ووسوس وأغوى آدم وحواء؛ دخل عليهما من باب حبهم لله تعالى ومن باب علمهم أن أعمارهم محددة وأن الموت نصيبهم بلا مفر فقال لهم مغويا وموسوسا: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين} **الأعراف20.** فوسوس لهما الشيطان: كناية على أن آدم وحواء لم يكونا يريان إبليس رؤية العين؛ ولكن حالهما كحالنا لا نرى الشياطين ولكنهم يوسوسون لنا؛ ولو كانا يريان الشيطان لقال تعالى: فقال لهما الشيطان. ولم يقول: فوسوس لهما الشيطان. فاللعين يعلم مدى حب آدم لربه؛ ويعلم أن آدم يعلم أن الملائكة هم خير عباد لله تعالى وأنهم مخلدون لا يموتون؛ فوسوس لهما الشيطان أنكما لو أردتما أن تكونا مثل الملائكة في نذر حياتهم لعبادة الله تعالى فقط وطاعة أوامره؛ وحياتهم هذه غير محددة المدة؛ لو أردتما هذا فكلا من هذه الشجرة. ففعلا وأكلا ووقعا في الذنب الأول..

أما ما هي هذه الشجرة وما هي تلك الثمرة؛ فهذا أمر لم يأتينا به نص؛ ولهذا لا يهمنا معرفة ما هي تلك الثمرة؛ فأي ثمرة سيتحقق فيها التحريم والنهي والاختبار.. سخر منهما الشيطان ولعب

بأحلامهما وأمانيهما حتى جعلهما يعصيا الله لأول مرة ولأول مرة تكتب في صفحة عملهما سيئة؛ فتعملنا من هذه القصة مدى ضعف الإنسان أمام نفسه ومدى ضعف الإنسان أمام الشيطان وتعلمنا مدى عداوة ذلك المخلوق الغير مرئي لأبونا الأول ولكافة ذريته؛ وعلمنا أن الخسران في معصية الله وعلمنا أن العزة والكرامة والنجاة في طاعة الله.. وتعلمنا الذنب كيف يكون.. وتعلمنا كذلك التوبة إلى الله كيف تكون..

وتعلمنا أن الإنسان سيضل ويهلك لو إتخذ من نفسه أو من شيطانه إله من دون الله يأمره وينهيه.. وبعد أن تعلم والدانا الأوائل آدم وحواء هذا الدرس القاسي والمهم قضى الله تعالى أمر إلهيا لا محيد عنه وهو قوله تعالى: وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم. قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.. **36-39 البقرة.**

والكلمات هي قوله تعالى: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

أمر الله تعالى آدم وحواء وإبليس أن يهبطا إلى الأرض وذلك بالطبع لم يكن بصاروخ ولا مكوك فضائي بل بقدرة الله تعالى القادر على كل شيء؛ وحكم سبحانه وتعالى أن العداوة بين الناس وشرار الجان من الشياطين ستكون عداوة أبدية؛ ولا نجاة للإنسان سوي عن طريق طاعة الله والتمسك بأوامره وتجنب نواهيه..

ثانيا: خلق الملائكة

الملائكة.. تلك المخلوقات النورانية العاقلة العاملة العابدة؛ ومن ضرورات الإيمان بالله تعالى الإيمان بوجود الملائكة؛ ومن كفر بوجود الملائكة فقد كفر؛ قال تعالى: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا. **النساء136.**

ورد ذكر الملائكة نحو ثمانية وثمانون مرة في القرآن الكريم. وهم سكان الملأ الأعلى وقد نزههم الله تعالى عن كل الشهوات الأرضية التي تجدها في كل حيوان الأرض فليس فيهم من ذكر أو أنثى ولا هم يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون إلى آخر ذلك مما يتعرض له الإنسان في الحياة الدنيا. وهم عباد الله المكرمون المنزهون عن الخطايا والآثام والكذب؛ والواحد منهم لايتحركون في الكون إلا بأمر الله تعالى لهم.

وللملائكة دور عظيم في هذا الكون؛ فقد أوكلهم الله تعالى بإدارة أمور المخلوقات أو كما قال الله تعالى فيهم: والمدبرات أمرا.. **النازعات5.** وقال: فالمقسمات أمرا. **الذاريات4.** فهم الذين يقسمون أمرر الله تعالى في خلقه..

ومنهم ملك للمطر؛ وملك للجبال؛ وملك للرياح؛ وملك للرعد والبرق وهكذا في كل الأمور.. والملائكة رسل الله في خلقه وأمره؛ وسفراء بينه وبين عباده. وهم الموكلين بقبض أرواح المخلوقات عند موتهم؛ وكذلك الملائكة هم المتصرفون في أمور بني آدم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ثم يبعث إليه الملك -الجنين في بطن أمه- فيؤمر بأربع كلمات؛ فيقال اكتب: رزقه وأجله وشقي أم سعيد ثم يينفخ فيه الروح.

ثالثا: خلق الجان

أي مسلم لا بد له أن يؤمن بوجود الجن إذ أن الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة تشهد بوجودهم في الكثير والكثير من المواضع.. ويكفينا في هذا الصدد وجود سورة كاملة باسمهم ألا وهي سورة الجن.. ولقد ذكر لفظة الجن في القرآن في عدد 22 آية في عدد11 سورة.. وذكر لفظ الجان في القرآن في عدد 7 آيات في عدد 4 سورة.. وذكر لفظ الجنة في القرآن في عدد10 آيات في عدد 7 سور.. وذكر لفظ مجنون في القرآن في عدد 11 سورة في عدد 9 سور.. بإجمإلى 50 مرة في عدد 31 سورة.

والأدلة على وجود الجان من السنة الصحيحة كثيرة لا تحصى نذكر منها على سبيل المثال قوله صلى الله عليه وسلم: خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكنني الله منه فذعته وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان: {رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي} فرده الله خاسئا. والكثير والكثير من أحاديث سيد الخلق التي تثبت وجود الجان وأنهم خلق عاقل مكلف.

والسؤال الآن: هل الإسلام وحده الذي أكد وجود الجن أم أن الأديان السماوية السابقة أيضا أكدت وجودهم؟ نعم؛ فالأديان السماوية كلها أجمعت على وجود الجن؛ والناظر في التوراة والإنجيل سيجد أن هناك آيات كثيرة تحض الناس على الابتعاد عن الجن، وعن الاستعاذة بهم، وتصف الجن الذي يتعامل مع البشر بأنهم نجس، وأنهم ينجسون من يتعاملون معهم؛ **فقد ورد في الإصحاح التاسع عشر:** لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم. وتنص التوراة على أن بعض الجان تتلبس البشر وإن حد هذا الساحر هو القتل رجما بالحجارة، **ففي الإصحاح العشرين:** وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه، دمه عليه.. وكذلك جاء في الإنجيل أن بعض الجان كانوا يؤذون الناس، فيصاب بعضهم بالبكم والجنون فقد ورد في **إنجيل متى الإصحاح التاسع:** وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه. فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس.

وجاء في الإصحاح السابع عشر: ولما جاءوا إلى الجمع تقدم إليه رجل جاثياً له وقائلاً: يا سيد، ارحم ابني فإنه يصرع ويتألم شديدا ويقع كثيرا في النار وكثيرا في الماء، فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من الساعة.

وفي إنجيل مرقس الإصحاح الخامس: ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس. كان مسكنه في القبور ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل. لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد أن يذلله. وكان دائما ليلاً ونهارا في الجبال وفي القيود يصيح ويجرح نفسه بالحجارة.. والكثير والكثير من الآيات الإنجيلية والتورانية التي تؤكد وجود الجن..

قال الشيخ أبو العباس بن تيميه في فتاويه: أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك.

ونعم يخرج من ملة الإسلام من أنكر وجود الجان، فالإيمان والاقرار بوجود الجن هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ومن يكفر بمعلوم من الدين بالضرورة فهو خارج عن ملة الإسلام التي تقر وتؤكد على وجود الجان.. **يقول ابن حزم في الفصل:** فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال.

قلت: كذلك يخرج من الملة من أوّل الجان على غير حقيقته كالذين ادعوا أن المقصود بالجان والشياطين نوازع الشر في الإنسان وأن المقصود بالملائكة نوازع الخير في الإنسان..

ويقول أبو العباس بن تيميه في فتاويه: وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوما بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان وغيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء عليهم السلام تواترا ظاهرا يعرفه العامة والخاصة لم يكن طائفة من طوائف المؤمنين بالرسل أن ينكرهم.. فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن.

وللجن تعريفا لغويا وآخر اصطلح عليه العلماء:

فأما تعريف الجن في اللغة: فقد اشتق اسم الجن لغويا من صفة الخفاء التي يتمتع بها، فهم وعالمهم عالم غير منظور بعكس الإنس وعالمهم الظاهر الجلي.

جاء في محيط المحيط: إن الجن خلاف الإنس أو كل ما استتر عن الحواس من الملائكة أو الشياطين: وقيل سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى. وهو اسم جمع والواحد جني. وقيل: بين الملائكة والجن عموم وخصوص، فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة.

وجاء في لسان العرب لابن منظور الأفريقي: جنن: جن الشيء يجنه جناً: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك. وجنه الليل يجنه جنا وجنونا، وجن عليه يجن بالضم، وجنونا وأجنة: ستره،

وفي الحديث: جن عليه الليل. أي: ستره. وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه..

وروى الشبلي في أحكام المرجان عن ابن عبد البر أنه قال: الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب: فإذا ذكروا الجن خالصا -أي بصفة عامة- قالوا: جني. فان أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس؛ قالوا: عامر والجمع: عمار و عوامر. فان كان ممن يعرض للصبيان؛ قالوا: أرواح. فان خبث وتعزم فهو شيطان. فان زاد على ذلك فهو: مارد. فان زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت والجمع عفاريت. والله اعلم بالصواب.

أما الجن في إصطلاح العلماء: الجن نوع من المخلوقات ذات أجسام وأرواح، وهي عاقلة مدركة مريدة مكلفة على نحو ما عليه الإنسان، خلقوا من مادة أصلها مارج النار وهو خالصه وأحسنه، وطبيعة خلقتهم لها ماهية لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا الله، مستترون عن الحواس في أصل خلقتهم، لا يرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية ولهم قدرة على التمثل وعلى التشكل، يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة..

وأجسام الجن قد تكون كثيفة وقد تكون رقيقة وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، ولعالم الجن ناموسهم أي قانونهم ونظامهم الذي يعيشون ويموتون ويتنقلون بموجبه.

والجن مخلوقون من مادة النار: وهذا بصريح الآيات والحديث منها: قال تعالى: {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم}**الحجر27**.. وقال: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار} **الرحمن15**.. وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم.. وعلى هذا فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أخبرانا عن أصل المادة التي خلق منها الجن وهي: النار. وقد عبرا عنها بلفظ: مارج من نار. وأخرى قال القرآن فيها: من نار السموم. وذلك هو لهب النار ولسانه.

والجان مخلوقين قبل خلق الإنسان: والصحيح المتفق عليه هو إن الجن قد خلقوا قبل الإنس وهذا شيء معروف لدى أهل العلم كافة، وكما هو واضح في القرآن الكريم يقول تعالى في محكم آياته: {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم} **الحجر27**. ولكن الاختلاف كان في المدة بين خلق الجن وخلق الإنس. منهم من قال إن الجن قد خلقوا قبل آدم بألفي سنة.. ومنهم من قال أربعين سنة. **قال أبو حذيفة بن بشر القرشي في المبتدأ** عن عبد الله ابن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: خلق الله تعالى بني الجان قبل آدم بألفي سنة.

قلت: هذه الأخبار لا دليل عليها ولا يمكن إثباتها وما أوردناها إلا للعلم فقط وبيان الأقوال المختلفة في بداية خلق الجان. والصحيح هو أن الجان خلقوا قبل الإنسان بمدة لا يعلمها إلا الله تعالى، وأسكنهم الأرض ليعمروها وليعملوا بمنهج الله تعالى، ولكنهم عصوا واعتدوا على أمر الله تعالى وفسدوا في الأرض وسفكوا دماء بعضهم البعض..

والجان لهم أعماروآجال يولدون ويكبرون ويموتون مثلهم في ذلك مثل الإنس تماما لا فرق؛ يقول تعالى: {كُلُّ مَنْ عليها فَان}**الرحمن26.** وبالطبع كل ما يخالف هذه الآية فهو باطل ومحض خيال.. وللرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حديث صريح في موت الجن كالإنس تماماً إذ يقول: أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت والجن والإنس يموتون.

الفصل الثالث

الله وضحكه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتجلى لنا ربنا ضاحكا يوم القيامة. فعلمنا أن الله تعالى يضحك؛ **قال عليه السلام:** إن الله ينشئ السحاب؛ فينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك. فسبحانه وتعالى يضحك أحسن الضحك؛ وضحك الله تعالى وغضبه وسخطه ورضاه وفرحه وحبه وكافة تلك الأفعال الإلهية لا تتشابه مع ضحك وغضب وسخط ورضى وفرح وحب كافة المخلوقات؛ فضحكه سبحانه وتعالى لا نعلم فيه كيف ولا حد ولا نمثله ولا نشبهه ولا نصرفه عن ظاهره ولا نحرفه فالله سبحانه وتعالى: ليس كمثله شيء. **الشوري 11.** لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى ومن ذلك ضحكه..

عن أحمد بن نصر قال: سألت بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة فجعلت ألح عليه في المسألة؛ فقال: دعني أتنفس. فقلت:كيف حديث عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله يحمل السماوت على إصبع، والأرضين على أصبع. وحديث: أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن. وحديث: إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق. فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: لا يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله على وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث.

وقال ابن تيمية: ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه.

الله يضحك من خلقه

كل المخلوقات يضحكها الله تعالى ويبكيها؛ لقوله تعالى: إنما هو أضحك وأبكى. **المطففين43**. فهو سبحانه وتعالى أضحك من شاء في الدنيا بأن سرّه وأبكى من شاء بأن غمّه. والضحك عرض قائم بالنفس؛ وأمره كأمر كل أفعال العباد قد خلقه الله تعالى كما خلق أفعالهم..

لذا فالخلاف واضح بين ضحك الله تعالى وبين ضحك مخلوقاته؛ فالله تعالى يضحك متي شاء مما يشاء وكيف يشاء؛ أما نحن فنضحك متى أضحكنا الله تعالى وشاء وأضحكنا مما يشاء وكيف يشاء.. كما أن الله تعالى إذا ضحك من عبد لم يحاسبه ولم يعذبه أبدا؛ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه.

أما في أسباب ضحك الله تعالى فقد رأينا أن الله تعالى يضحك تعجبا مما خلق؛ فهو يضحك من أفعال عباده تعجبا؛ وقد ذهب الكُلابية أصحاب بن كلاب إلى نفي الضحك عنه سبحانه وتعالى؛ **قالوا:** لأن الضحك خفة روح تكون لتجدد ما يسر وإندفاع ما يضر؛ والتعجب استعظام للمتعجب منه. **فرد عليهم ابن تيمية في مجموع فتاويه فقال:** وقول القائل: إن الضحك خفة روح؛ ليس بصحيح وإن كان ذلك قد يقارنه. ثم قول القائل: خفة الروح إن أراد به وصفا مذموما؛ فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه؛ وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال؛ وإذا قدر حيّان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لا يضحك قط؛ كان الأول أكمل من الثاني.. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ينظر إلكم الرب قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب. فقال له أبو رزين العقيلي: يارسول الله أويضحك الرب؟! قال: نعم. قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا. فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلا على إحسانه وإنعامه؛ فدل هذا على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال؛ والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك وقد قيل في اليوم الشديد العذاب إنه: يوما عبوسا قمطريرا. **الإنسان 10.**

وقد روي أن الملائكة قالت لآدم: حياك الله وبيّاك. أي: أضحكك.

والإنسان حيوان ناطق ضاحك؛ وما يميز الإنسان عن البهيمة صففة كمال؛ فكما أن النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال؛ فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك.

وإذا كان الضحك فينا مستلزما لشيء من النقص فالله منزه عن ذلك.

وذلك الأكثر مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقا مقرونة بالنقص؛ كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص؛ ووجودنا مقررون بالنقص ولا يلزم مأن يكون الرب موجدا وألا تكون له ذات...

وأما قوله: التعجب استعظام للمتعجب منه. فيقال: نعم وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره؛ والله تعالى بكل شيء علىم فلا يجوز عليه ألا يعلم سبب ما تعجب منه؛ بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته. فإنه وصف ببعض الخير بأنه عظيم؛ ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى: رب العرش العظيم. **النمل62**. وقال: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم. **الحجر87.** وقال: إن الشرك لظلم عظيم. **لقمان13**.. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي آثر هو وامرأته وضيفهما: لقد عجب الله. وفي لفظ في الصحيح: لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة؛ وقال: إن الرب ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. يقول الرب: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا.

هل يجوز أن نقول أن الله يبتسم؟

بالطبع لا يمكن أن نقول أن الله تعالى يبتسم؛ حتى لو حمل معني التبسم على الضحك. لأننا المسلمون أهل السنة والجماعة لا نسمي الله تعالى أو نوصفه -سبحانه وتعالى عن الوصف- إلا بما سمى أو وصف به نفسه لذا وجب الالتزام بالمسميات والأسماء والصفات التي جاءت عن الله تعالى في كتابه أو ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته.

من أجل ذلك أحل لنا أن نقول أن الله تعالى يضحك؛ لأن النص جاء به.

أما قول أن الله تعالى يبتسم فهذا ما لم يأتي به نص؛ ولا يحل القول به أبدا ولو جاء عن الله أو رسول الله لقلنا به.

وتعالى ننظر إلى الروايات التي جاءت في ضحك الله تعالى ونعلق عليها بعد ما نرى ما جاء فيها.

آخر من يدخل الجنة

أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آخر رجل يدخل الجنة؛ وكيف أنه يُضحك الله تعالى فهيا معي نقرأ الرواية ونضحك معا مما ضحك عليه رب العالمين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويبقى رجل بين الجنة والنار؛ وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبلا بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها.

فيقول:هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك!

فيقول: لا وعزتك.

فيعطي ما يشاء من عهد وميثاق؛ فيصرف الله وجهه عن النار. فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت؛ ثم قال: يارب قدمني عند باب الجنة.

فيقول الله: أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت!

فيقول: يا رب لا أكن أشقى خلقك.

فيقول: فما عسيت إن أعطيتك ذلك أن لا تسأل غيره!

فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك. فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة. فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يارب أدخلني الجنة..

فيقول: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك؛ أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت!

فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك.

فيضحك الله منه ثم يأذن له في دخول الجنة. فيقول: تمن. فيتمنى حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل: لك ذلك ومثله معه. وفي رواية أبي سعيد قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله. وفي رواية مسلم التي صححها عن ابن مسعود: فيدنيه منها؛ فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها.

قال: أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

فضحك ابن مسعود؛ فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟

فقالوا: مم تضحك؟

قال: هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين؛ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير.

أرأيت أن الله تعالى يضحك مما خلق وصنعت يداه؛ فهذا الإنسان الذي خرج من النار قد ذاق من عذاب الله الكثير؛ ورأى من آياته سبحانه تعالى الكثير والكثير ولكن قلبه ما زال دنيوي وعقله كذلك.

فهاهو رب العالمين قد أماته ثم بعثه ثم حاسبه ثم أدخله النار، ثم عذبه فيها ثم أخرجه منها ثم أدناه من شجرة ليستظل بها وسقاه من مائها وأدناه من أخرى وأخرى حتى أدناه من الجنة حتى يسمع أصوات أهل الجنة ويرى من شجرها وخيرها ونعيمها ثم يطلب من الله تعالى أن يدخله الجنة؛ وعندما يخبره تعالى أنه سيدخله الجنة؛ ليس هذا فقط ببل وسيعطيه فيها مثل الدنيا ومثلها معها فيشعر أن الله تعالى يستهزيء منه وأن الله تعالى لا يقدر على إعطائه ما وعد وهو رب العالمين!

فتعجب الله تعالى من تفكير عبده وصلابة وقساوة قلبه؛ وضحك منه وقال له: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير...

أبو طلحة الأنصاري وزوجه

قلنا أن الله تعالى قد يتعجب مما يخلق؛ وخصوصا قد يتعجب من فعل الإنسان؛ فالإنسان من أكثر المخلوقات التي تضحك رب العالمين؛ ومثال ذلك في السنة كثير منها قصة أبو طلحة الأنصاري عليه السلام وزوجه؛ فقد روي عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء؛ ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضيفه ويرحمه الله؟

فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لأمرأته: هل عندك من شيء؟

قالت: لا إلا قوت صبياني.

قال: فعلليهم بشئ نوميهم؛ فإذا دخل ضيفنا فأريه أنّا نأكل؛ فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت؛ فقعدوا وأكل الضيف.

فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام: لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة. وفي رواية مثله ولم يسم أبا طلحة وفي آخرها فأنزل الله تعالى: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهمم خصاصة فأولئك هم المفلحون.

فسبحان من يضحك ويتعجب مما خلق؛ فقد ضحك سبحانه تعالى وتعجب من فعل أبا طلحة وزوجه فهما آثرا رحمة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على إشباع أطفاله وتحايلوا على الضيف حتى لا يشعر بأنهم فقراء لا يملكون القوت. فسبحان الله الذي إذا أراد أن يرضى على عبد من عباده يسّره إلى ذلك؛ وأخرج منه ذلك الفعل الذي يرضيه سبحانه وتعالى فيرضى الله عنه بفعله الذي خلقه في مخلوقه وسبحانه كذلك يضحك ويعجب مما فعل.

القاتل والمقتول في الجنة

أعتقد أنه من أعجب العجب أن نرى القاتل والمقتول معا متحابين يأخذ كلا منهما يد الآخر ويدخل الجنة؛ وهذا الموقف يحدث بالضبط يوم القيامة؛ فيأخذ المقتول بيد قاتله بمنتهى الحب ويدخل معه جنة الرحمن؛ فيضحك رب العالمين من هذا الموقف الذي خلقه سبحانه وتتعالى وتعجب منه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يضحك الله إلى الرجلين؛ يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة؛ يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيسلم؛ فيقاتل في سبيل الله فيستشهد.

ثلاثة يحبهم الله ويضحك لهم

عن أبي الدرداء عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم؛ الذي إذا انكشفت فئة قاتل ورائها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه؛ فيقول: انظرا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه!!
والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن؛ فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد!! والذي إذا كان في سفره وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء.

تم بعون الله وفضله

فهرس كتاب الضحك في الإسلام